

جامعة المولى اسماعيل مكناس

الكلية المتعددة التخصصات الرشيدية

شعبة اللغة العربية

مسلك الدراسات الأساسية – سلك الإجازة

مادة : الشعر العربي القديم

الفصل الثاني / المحور السادس

الأستاذ : عبد الله صغيري

العام الجامعي : 2019-2020

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

○ مقدمة

○ 1- كلمة في التاريخ والمجتمع والشعر

○ 2- مقدمات القصائد عند أبي تمام

○ 3- شعر الطبيعة عند أبي تمام

○ 4- المدح عند أبي تمام

○ 5- الواقعية في شعر أبي تمام

○ 6- العقلانية في شعر أبي تمام

○ 7- خلاصات

○ خاتمة

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

○ مقدمة :

شهد العصر العباسي تقدما كبيرا للقصيدة العربية . فحين أشرف عصر الرشيد على نهايته، كان الشعر العربي قد تغلغل في كل مناحي الحياة .وتناول مسائلها وقضاياها وأحوالها : شؤوننا وشجوننا . وكان صرح المحسنات اللفظية والمجملات المعنوية قد اكتمل أو كاد ... مما كان لازما لاحتواء غزارة الصور والأفكار .

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

- ◉ وقد تمثلت تلك التجارب الفنية في نماذج من أهرامات المبدعين ظلت تحفل بها حياة الفن إلى يوم الناس هذا .
- ◉ ولا غرو أن يكون شعراء هذه الفترة مصابيح لأمعة أمام أجيال الشعر والشعراء ، في المراحل اللاحقة لهذا العصر الذهبي في تاريخ الشعر العربي .

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

◉ ومن أشهر أعلام هذه المرحلة : الشاعر الكبير أبو تمام الطائي ،
الذي استقرت بين يديه ذخيرة رفيعة من الشعر العربي كما
وكيفا ، سيولا دافقة من منابع الشعر البعيدة . وتعد تجربة أبي
تمام الشعرية من أشهر التجارب التي حملت أبعادا تجديدية
للقصيدة العربية بلغت بها مدارج الرقي والاستواء سواء على
مستوى اقتداح الأفكار أو على مستوى الصياغة والأداء ،
جامعا بين صرامة العقل وجيشان العاطفة.

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

1- كلمة في التاريخ والمجتمع والشعر :

لقد كانت الفتنة الواقعة بين الأمين والمأمون والقتال الضاري بينهما ، منعظا حادا في أحوال الاجتماع البشري جملة بلغ حد تعكير صفو أمن الدولة وتهديد وحدتها والطمع في سلطانها داخليا وخارجيا . الشيء الذي كان لا بد أن ينعكس على الشعر بما هو مرآة للمجتمع ، يتفاعل معه فتنة وأمنا ، وشدة ورخاء ...

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

◉ قال البهيتي : ”فأرد وجه الحياة بعد إسماع ، وتجهم بعد ابتسام . وعادت تلك الحياة العذبة التي كان يحيها الناس في عهد الرشيد جادة في عبوس. وانتقل الناس من العصر الشعري الرقيق الحواشي، الخصب الجوانب المترف الناعم ، الغني ، المشبه للأسطورة، إلى عصر رزين مفكر، ينظر في الأشياء ويتخوف العواقب، ويقل فيه العطاء، لما أخذت موارد الخلافة في الضيق، بسبب مطالب حماية الدولة في داخلها من الثائرين، ومن خارجها من الروم الطامعين“ تاريخ الشعر العربي حتى

آخر القرن الثالث الهجري ص : 487

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

◉ "وظاع الشعر ذلك كله واستجاب له، وراح يتكيف على مقتضاه ، ويتلون بلونه ، فتأخر تلك الفنون اللاهية من فنونه، وتضيق وتتقدم فنون الشعر القديمة الكبرى، التي غلبت على الشعر العربي في عصر الصراع والجد . وهي العصور التي تؤلف العمود الفقري للتاريخ العربي في هذه الفترات . أي الشعر السياسي بصورة وفروعه واتجاهاته . وبأوزانه الطوال الثقال الوافيات الملائمة لجد الموضوع . وتلك الأوزان الخفاف القصار الراقصات تكاد تختفي تماما في ديوان أبي تمام“ .

تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ص : 487

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

◉ لقد طغت أغراض السياسة والحروب في هذا العصر بحكم التحولات الكبرى التي جعلته زاخرا بالخطوب . إلا أن الأغراض الأخرى لم تندثر جملة لأن النزوع الطبيعي للنفس إلى الجمال الشعري ظل معطى ضامنا لاستمرار الغزل ووصف الطبيعة والخمرية ، لكنها صارت أجزاء تابعة لجسم القصيدة – في صورة مقدمات أو افتتاح أو جزءا لاحقا بالمقدمة - أكثر منها أغراضا قائمة مستقلة .

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

①-1. مقدمات القصائد عند أبي تمام :

② بخصوص مقدمات القصائد ، نسجل تحرر أبي تمام من أسر اختيار وحيد يناصره . حيث نوع من تناوله للمقدمات من خلال صيغ مختلفة هذه أهمها :

②أ- إلغاء المقدمة الافتتاحية : والاستغناء عنها والهجوم المباشر على موضوع القصيدة ، وذلك حين يكون الموضوع الأساس من الجدية التي لا تسمح بأي انتظار أو أي أسبقية لأي تقديم قبل الموضوع .

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

◉ قال أبو تمام في مدح المعتصم بعد إحراق الأفشين :

الحق أبلج والسيوف عواري

فحذار من أسد العرين حذار

يا رب فتنة أمة قد بزها

جبارها في طاعة الجبار

◉ إنه هجوم مباغت لأبي تمام . ففتنة إحراق الأفشين لا يناسبها

أي استهلال . والموقف منها يجب أن يصدع به رأسا . فلا

سبيل لتوزع قيمة صدر القصيدة .

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

⊙ ب - الانشغال بالمقدمة والاستغراق فيها :

وذلك على حساب الموضوع المقصود في القصيدة .

قال أبو تمام :

رقت حواشي الدهر فهي تمرمر

وغدا الثرى في حليه يتكسر

مطر يذوب الصحو منه وبعده

صحو يكاد من الغضارة يمطر

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

يا صاحبي تقصيا نظريكما

تريا وجوه الأرض كيف تصور

تريا نهارا مشمسا قد شابه

زهر الربى فكأنما هو مقمر

من كل زاهرة ترفرف بالندی

فكأنها عين عليه تحدر

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

◉ إن جمال الطبيعة سحر الشاعر . وإن روعة الطبيعة من الإغراء بمكان ، لدرجة انشغال أبي تمام بحسن الربيع ، انشغالا كاد ينسيه غرضه الأساس من مدح الخليفة. وكيف لا وحواشي الدهر الرقيقة تتمرمر ، والصحو يذوبه المطر ، وزهر الربى يخالط النهار المشمس فكأنه أقمار .. هكذا مضى أبو تمام هائما بالربيع ، قبل أن يصل إلى المدح في آخر القصيدة قائلاً :

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

إن الخليفة حين يُظلم حادث
عين الهدى وله الخلافة محجر
في الأرض من عدل الإمام وجوده
ومن النبات الغض سرج تزهر
نظم البلاد فأصبحت وكأنها
عقد كأن العدل فيه جوهر

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

⊙ ج- المقدمة الغزلية :

⊙ ومن مقدمات أبي تمام المعتدلة ، قوله في الغزل :

لو أن دهرًا رد رجع جوابي

أو كف من شأويه طول عتابي

لعذته في دمتين تقادما

محتوين لزيب ورباب

ثِنْتَانِ كَالْقَمَرَيْنِ حُفَّ سَنَاهُمَا

بِكَوَاعِبٍ مِثْلِ الدُّمَى أَتْرَابِ

مِنْ كُلِّ رَيْمٍ لَمْ تَرُمْ سَوْءاً وَلَمْ

تَخْلِطَ صَبِي أَيَّامِهَا بِتَّصَابِي

◉ لقد جمع أبو تمام في هذا المقطع الغزلي الجميل بين عتاب

الدهر وذكر دمنتي زينب ورباب ، وتفاعله الشعوري ازاء ذلك .

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

⊙ د- البكاء على الديار:

⊙ وها هو أبو تمام يسلك نهج الأقدمين في الاستهلال بالمقدمة التقليدية في الوقوف على الأطلال وذكر أهلها .

عفت أربع الحلات للأربع الملد

لكل هضيم الكشح مجدولة القد

لسلمى سلامات وعمرة عامر

وهند بني هند وسعدى بني سعد

فعوجا صدور الأرحبي وأسهلا

بذاك الكثيب السهل والعلم الفرد

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

ومن جميل شعر أبي تمام في الوقوف على الأطلال، وصلتها
بوشائج الحب وأحاديث الهوى :

لا أنت أنت ولا الديار ديار

خف الهوى وتولت الأوطار

كانت مجاورة الطلول وأهلها

زمننا عذاب الورد وهي بحار

أيام تدمي عينه تلك الدمي

فيها وتقمّر لبه الأقمار

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

إِذْ لَا صَدُوفٌ وَلَا كَنُودٌ أَسْمَاهُمَا

كَالْمَعْنَيْنِ وَلَا نَوَارٌ نَوَارٌ

بَيْضٌ فَهِنَّ إِذَا رُمِقْنَ سَوَافِرًا

صُورٌ وَهِنَّ إِذَا رَمَقْنَ صِوَارٌ

فِي حَيْثُ يُمْتَهَنُ الْحَدِيثُ لِذِي الصَّبَا

وَتُحَصَّنُ الْأَسْرَارُ وَالْأَسْرَارُ

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

3- شعر الطبيعة :

⊙ ومن شعر أبي تمام في الطبيعة ما زجا بين وصفها وبين مظاهر
الحياة وصدى ذلك في نفسه :

غنى فشاك طائر غريد

لما ترنم والغصون تميد

ساقٌ على ساقٍ دعا قمريةً

فدعت ثقاسمه الهوى وتصيدُ

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

إِفَانٍ فِي ظِلِّ الْغُصُونِ تَأَلَّفَا

وَالْتَفَّ بَيْنَهُمَا هَوَى مَعْقُودٌ

يَا طَائِرَانِ تَمَتَّعَا هُنَيْثُمَا

وَعِمَا الصَّبَاحِ فَإِنِّي مَجْهُودٌ

أَهْ لَوْ قَعِ الْبَيْنِ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ

بَيْنَ الْمُحِبِّ عَلَى الْمُحِبِّ شَدِيدٌ

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

أبكي وَقَد سَمَتِ الْبُرُوقُ مُضِيئَةً
مِنْ كُلِّ أَقْطَارِ السَّمَاءِ رُعودُ
وَإِهْتَزَّ رِيْعَانُ الشَّبَابِ فَأَشْرَقَتْ
لِتَهْلُلِ الشَّجَرِ الْقَرَى وَالْبِيدُ
وَمَضَتْ طَوَاوِيسُ الْعِرَاقِ فَأَشْرَقَتْ
أَذْنَابُ مُشْرِقَةٍ وَهَنَّ حُفُودُ

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

يَرْفُلْنَ أَمْثَالَ الْعَذَارَى طُوفَاءً

حَوْلَ الدَّوَارِ وَقَدْ تَدَانِي الْعَيْدُ

إِنِّي سَأَنْتُرُ مِنْ لِسَانِي لَوْلَاءُ

يَرِدُ الْعِرَاقَ نِظَامُهُ مَعْقُودُ

حَتَّى يَحُلَّ مِنَ الْمُهَلَّبِ مَنْزِلًا

لِلْمَجْدِ فِي غُرْفَاتِهِ تَشِيدُ

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

◉إنها لوحات فنية بديعة يمزج فيها أبو تمام صور من حياة الطبيعة : حيث ترنم الطائر الغريد وميلان الغصون على إيقاع غناء الطائر ، بمشهد تقاسم لواعج الشوق بين العصفورين ، وما يعكسه ذلك لدى الشاعر من شجون يصاعد البكاء في تجاوب وجودي مع مشهد السماء ترتج بوابل البروق والرعود . حتى إذا تهلل الشجر واشرقت الطواويس اهتز ريعان الشباب محتفلا في بساط الطبيعة الرائعة .

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

5- المدح عند أبي تمام :

○ المدح قبل أبي تمام كان يدور حول كرم الممدوح وجوده وعطاياه .

○ مع أبي تمام توجه المدح إلى تصوير البطولة في عهد كانت أبرز مواصفات الممدوح المطلوبة : قوته في الحرب وإصابته في الرأي

○ قال أبو تمام :

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

إليك جزعنا مغرب الملك كلما

وسطنا فلا صلت علينا سبابه

إلى ملك لم يلق كلكل بأسه

على ملك إلا وللذل جانبه

سما للعلا من جانبيها كليهما

سهو عباب الماء جاشت غواربه

فنول حتى لم يجد من ينيله

وحارب حتى لم يجد من يحاربه

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

ويقول في مدح قوم الممدوح :

إذا ألجمت يوما لجيمَّ وحولها

بنو الحصن نجل المحصنات النجائب

فإن المنايا والصوارم والقنا

أقاربهم في الروع دون الأقارب

إذا افتخرت يوما تميم بقوسها

وزادت على ما وطدت من مناقب

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم

عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

معال تمادت في العلو كأنما

تحاول ثأرا عند بعض الكواكب

⊙ إن قيمة العلاء المطلوبة بدهاة من الملوك والأشراف ليست
سبيلها إلا البطولة في النزال والبأس في القتال. وهو الجالب
لمكارم العز ودواعي الفخر.

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

5- الواقعية في شعر أبي تمام :

- ومن أظهر آثار أبي تمام على الشعر العربي ، أنه رده إلى أخص خصائصه القديمة من حيث الارتباط بينه وبين الواقع . وأيضا من حيث البعد عن المغالاة التخيلية والإسراف النظري في تقويم الأشياء . وقد تأتي ذلك لأبي تمام من خلال حرصه على الربط بين الشعر وبين الوقائع التاريخية . ومن نماذج ذلك :
- نموذج قصيدة فتح عمورية :

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

○ ومناسبة القصيدة : غزو الخليفة المعتصم بجيوشه لعمورية
انتقاماً لغارة تيوفيل الرومي على زبطرة ، وتنكيله بأهلها وسبي
نسائها وما كان من صراخ الهاشمية الأسيرة : وامعتصماه ...
قال أبو تمام :

السيف أصدق إنباء من الكتب

في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصحائف لا سود الصف

أح في متونهن جلاء الشك والريب

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

أين الرواية بل أين النجوم وما

صاغوه من زخرف فيها ومن كذب

عجائباً زعموا الأيام مجفلة

عنهن في صفر الأصفار أو رجب

لو بينت قط أمرا قبل موقعه

لم تخف ما حل بالأوثان والصلب

لبيت صوتا زبطريا هرقت له

كأس الكرى ورضاب الخرد العرب

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

تسعون ألفا كآساد الشرى نضجت

جلودهم قبل نضج التين والعنب

لما رأى الحرب رأي العين توفلس

والحرب مشتقة المعنى من الحرب

غدا يصرف بالأموال خزيتها

فعزه البحر ذو التيار والعبب

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

- ◉ ومثل هذا الشعر عند أبي تمام لا يعتمد على تخيل أو إيهام . بل يجمع فيه الشاعر بين الأفكار العميقة والتحليل العقلي المنطقي والتوثيق التاريخي والصياغة الفنية البارعة . فتصير القصيدة - فضلا عن كونها مشهدا بديعا مزيئا بجمال الصور الشعرية - وثيقة تؤرخ للأحداث ، وترصد وقائعها وتفسرها تفسيراً منطقياً يربط العلل بالنتائج .

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

◉ إن الشاعر إذ يقابل بين السيف والتنجيم ويضع العلم في الصف الأول والتلفيق والكذب في الصف الثاني ، يكشف عن نزعة منطقية تربط الأسباب بمسبباتها . وتؤسس الأفعال على مقدماتها بعيدا عن النزعة الخرافية . هكذا يكون الانتصار نتيجة طبيعية لامتلاك أسباب القوة ولمشروعية المواجهة ، بعيدا عن أية عوامل خرافية .

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

⊙ إن الحقيقة التي يقدمها الشاعر تتجاوز فضاء النص لتكتسب مصداقيتها داخل بني وجودية ومعرفية مغايرة .

⊙ إن "فتح عمورية" نص متحرك ، دال على فعالية الإنجاز وحيوية الحدث ، هذه الخاصية تبرز بوضوح من خلال وفرة أفعال المضارعة وصيغ اسم الفاعل : تفتح – تبرز – يحيط – يقل – طالعة- واجبة – عاكفة- معتصم – منتقم- مرتقب – مرتغب

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

⊙ والنص شاهد على براعة أبي تمام في تشكيل الصورة الفنية التي تتناغم في بنائها الوظيفة الرسالية والوظيفة النفسية. إن الصورة عنده تتجاوز وظيفة الإبلاغ لكي تعكس حالة وجودية الشاعر.

⊙ إن نشوة النصر ونفس التشفي في الخصوم ، منح الأسلوب نوعا من الانسيابية والطلاقة، والصور روعة وجمالا ، وذلك بواسطة ما ترصعت به من محسنات البديع وفنون البيان.

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

○ ومن أهم فنون البيان التي زينت قصيدة "فتح عمورية"
المجازات والاستهارات . وضمن المحسنات البديعية الجناس
بنوعيه والطباق والمقابلة .

○ قال صاحب الأغاني : " وله مذهب في المطابق هو كالسابق
إليه جميع الشعراء وإن كانوا قد فتحوه قبله وقالوا القليل منه
فإن له فضل الإكثار فيه والسلوك في جميع طرقه " .

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

6- العقلانية في شعر أبي تمام :

اعتداد أبي تمام بالعقل اعتداد كبير يتجاوز به الملامح
السطحية التلقائية .

قال أبو تمام :

ولو كان يفنى الشعر أفناه ما قرت

حياضك منه في العصور الذواهب

ولكنه فيض العقول إذا انجلت

سحائب منه أعقت بسحائب

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

◉ إن احتفال أبي تمام بالعقل ليس مجرد احتفال بفكرة مجردة
تنتصر لميزان العقل في التفكير والتدبير بل هو نظر نقدي
حصيف يجعل خلود الشعر ودوامه مرتبطا بطبيعته المنطقية
ومصدره العقلي . وهو نظر من السداد بمكان ، يناهى بالشعر أن
يكون فقط مادة للمتعة ومصدرا للجمال ..إلى كونه أيضا مادة
معرفية مستنبطة من عمل العقل . وهي رؤية متكاملة لطبيعة
الفن ، تكسبه الإقبال والاقتناع والامتداد .

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

6- خلاصة :

أ- جديد أبي تمام في الشعر العربي :

- إعطاؤه القصيدة العربية شكلها النهائي وصورتها الأخيرة ، التي اعتبرتها العصور بعد ذلك صورة تامة ومقياسا للاتباع .
- تجاوز الصراع على أنواع الافتتاح والمقدمات ، والأخذ من كل الأنواع بهرولة وطواعية .

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

● تطوير معاني الشعر وأساليبه حتى تتماشى مع طبيعة الحياة الجديدة ومظاهر الترف. فزاد الإقبال أكثر على استخدام المحسنات البديعية .

● ب- ومن أهم خصائص شعر أبي تمام:

● المعاني والصور : تأثرت بثقافة المجتمع السائدة وساعد على ذلك اتساع الصور الشعرية في شعره . ولذلك لقب ب شاعر المعاني .

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

⊙ دقة الأفكار وعمق المعاني وتجنب السطحية التي لا تحرك شعور الناس .

⊙ الواقعية وسعة الخيال (فتح عمورية)

⊙ استخدام الأدلة المنطقية / كثرة استعمال التشابه الضمنية من أجل الإقناع .

⊙ استخدام المحسنات المعنوية : الطباق – المقابلة – الكناية

...

⊙ أغراضه الشعرية : المدح والثناء والطبيعة .

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

⦿ خاتمة :

⦿ قال البهيتي : "كان مذهب أبي تمام الشعري ونمط قصيدته نتيجة تفاعل الفنون والمذاهب التي قويت في عهد الرشيد . وكان انتصارا للنظرة المعتدلة التي تأخذ عن الحياة الجديدة المعاني ومقومات الشعر وتدور بها في فلك النمط القديم . وقد طغى مذهب الشعري على كل ما عداه .

أبو تمام الطائي في ريادة الشعر العباسي

⊙... وترك أبو تمام بجبروته الشعري طابعه الخالد على كل ما جاء بعده من شعر ، وانتهى إلى توجيه الناس إلى الأخذ بما سار فيه من متابعة النمط التقليدي ، وإن اختلفوا في الحكم على بديعه . ولم تعد النفوس بعد أبي تمام تضطرب بين الأخذ بهذا المذهب أو ذاك . تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث

الهجري ص: 503